

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَوْصِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَنَفْسِي
بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ "

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، إِذَا ذُكِرَتِ الصِّفَاتُ
الْحَسَنَةُ ، كَانَ الْوَفَاءُ مِنْهَا فِي الْقِمَّةِ ،
فَهُوَ مِنْ أَجْمَلِ الشَّيْمِ وَأَعْلَى الْقِيمِ وَأَكْرَمِ

الْخِصَالِ ، وَصَاحِبُهُ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ نَفْسًا
وَأَدْنَاهُمْ إِلَى الْكَمَالِ .

وَإِذَا كَانَ الْوَفَاءُ مَطْلُوبًا لِكُلِّ مَنْ أَحْسَنَ
أَوْ أَسَدَى مَعْرُوفًا ، فَإِنَّ أَعْظَمَ مَنْ لَهُ
مَعْرُوفٌ وَحَقٌّ عَلَى آخِرٍ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ
يَفِيَّ لَهُ بِهِ ، الْأَبُ وَالْأُمُّ ، أَعْظَمُ النَّاسِ
فِي الدُّنْيَا بَدَلًا وَعَطَاءً ، وَأَحَقُّهُمْ بِأَنْ
يَنَالُوا بَرًّا وَوَفَاءً ، وَمَنْ تَمَّ كَانَ حَقُّهُمَا
عَلَى الْأَوْلَادِ عَظِيمًا ، وَبِرُّهُمَا وَاجِبًا ،

وَالْعُقُوقُ بِهِمَا مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ، وَنِسْيَانُ
مَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَسْوَأِ الصِّفَاتِ وَأَقْبَحِ
الْأَخْلَاقِ .

وَإِذَا كَانَ النَّاسُ يَتَمَادِحُونَ بِالْوَفَاءِ
وَيَرْفَعُونَ مَقَامَ الْوَفِيِّ وَيُكْرِمُونَهُ ، فَإِنَّ أَوْلَى
النَّاسِ بِأَنْ يُمدَّحَ بِذَلِكَ هُمُ الْأَبْنَاءُ الْبَرَّةُ
، وَمَا أَجْمَلُهُ مِنْ أَدَبٍ حِينَ يَكُونُ الْابْنُ
وَفِيًّا لِوَالِدَيْهِ ، مُعْتَرِفًا بِفَضْلِهِمَا ، مُقِرًّا
بِإِحْسَانِهِمَا ، قَائِمًا بِحَقِّهِمَا ، قَرِيبًا مِنْهُمَا

لَطِيفًا بِهِمَا ، خَادِمًا لَهُمَا ، مُرَاعِيًا
لِحَاجَاتِهِمَا ، مُتَلَمِّسًا رَاحَتَهُمَا ، مُبْتَعِدًا
عَمَّا يُغْضِبُهُمَا وَيُحْزِنُهُمَا ، مُتَحَرِّيًا مَا
يُرْضِيهِمَا وَيَسُرُّهُمَا ، لَا يَأْمُرَانِهِ إِلَّا أَطَاعَ
وَلَبَّى ، وَلَا يَنْهَيَانِهِ إِلَّا انْكَفَّ وَانْتَهَى ،
وَلَا يَرَى أَمْرًا يُعْجِبُهُمَا إِلَّا حَرَصَ عَلَيْهِ
وَجَعَلَهُ عَلَى بَالِهِ ، وَلَا آخَرَ يَكْرَهُانِهِ
إِلَّا تَجَنَّبَهُ وَكَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهُ ، بِهَذَا
يَكُونُ الْوَفَاءُ وَيَتَحَقَّقُ الْبِرُّ ، وَيَطِيعُ الْمَرْءُ

رَبُّهُ وَيُؤَدِّي وَاجِبَهُ ، وَيَتَخَلَّصُ مِنْ مَعَرَّةِ
الْعُقُوقِ وَيَتَرَفَّعَ عَنْ عَيْبِ النِّسْيَانِ
لِلْجَمِيلِ .

أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ ، إِنَّ فِي كُلِّ مَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ
الْوَالِدَانِ مِنْ أُمُورِكُمَا وَشُؤُونِكُمَا ، فُرْصَةً
لِلْبِرِّ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ ، وَإِنَّ كُلَّ مَا يُمَكِّنُ
أَنْ يَكُونَ فِعْلُهُ وَبَدَلُهُ بَرًّا وَإِحْسَانًا ، فَتَرْكُهُ
وَالْبُخْلُ بِهِ عُقُوقٌ مِنَ الْمَخْذُولِ وَإِسَاءَةٌ
مِنَ الْغَافِلِ الْأَهْمِيِّ ، فَالْكَلَامُ مَعَ

الْوَالِدَيْنِ بُرٌّ إِنْ كَانَ بِتَلَطُّفٍ وَخَفَضِ
صَوْتٍ ، وَاخْتِيَارٍ لِأَطْيَبِ الْكَلِمَاتِ
وَانْتِقَاءٍ لِأَلْيَنِ الْعِبَارَاتِ ، وَهُوَ عُقُوقٌ إِذَا
ارْتَفَعَ الصَّوْتُ وَخَشِنَ الْكَلَامُ وَغَلُظَتِ
الْعِبَارَةُ ، وَصَعَّرَ الْإِبْنُ خَدَّهُ وَاحْتَدَّ وَاشْتَدَّ
، أَوْ لَوَى عُنُقَهُ وَوَلَّى وَهُوَ يُتِمِّمُ ، أَوْ
انْصَرَفَ وَأَبْوَهُ أَوْ أُمُّهُ يُكَلِّمَانِهِ ، أَوْ قَطَعَ
كَلَامَهُمَا وَرَدَّ عَلَيْهِمَا وَجَادَهُمَا ، وَقُولُوا
مِثْلَ هَذَا فِي طَرِيقَةِ الْجُلُوسِ أَمَامَهُمَا

وَالْمَشْيِ مَعَهُمَا ، فَالْبَارُّ يَجْلِسُ مُوَاجِهًا
لَهُمَا مُصَغِّيًا السَّمْعَ مُبْدِيًا الْإِهْتِمَامَ ، لَا
يَرْفَعُ بَصَرَهُ وَلَا يُحْدِثُ نَظَرَهُ ، وَلَا يَجْلِسُ
مُتَّكِئًا أَوْ يُؤَلِّيهِمَا ظَهْرَهُ ، إِنْ مَشَى مَشَى
خَلْفَهُمَا بِأَدَبٍ ، وَإِنْ وَقَفَا وَقَفَ وَانْتَظَرَ
، وَإِنْ تَعَبَا قَدَّمَ لَهُمَا مَا يُرِيحُهُمَا . وَكَمْ
هُوَ جَمِيلٌ وَدَلِيلٌ عَلَى الْفِطْنَةِ وَالذِّكَاةِ
وَالزَّكَاةِ ، بَلْ وَعَلَامَةٌ تَوْفِيقٍ وَتَسْدِيدٍ
وَإِلْهَامٍ مِنَ اللَّهِ ، أَنْ يَفْهَمَ الْإِبْنُ كَثِيرًا مِمَّا

يُكِنُّهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ ، وَيَعْرِفُ مَا يَدُورُ
بِخَاطِرِيهِمَا ، وَيَتَوَقَّعُ مَا يُرِيدَانِ تَحْقِيقَهُ
وَإِنْ لَمْ يُبْدِيَاهُ وَيُظْهِرَاهُ ، فَيُبَادِرُ بِخِدْمَتِيهِمَا
وَتَحْقِيقِ رَغْبَتِيهِمَا قَبْلَ أَنْ يَطْلُبَا مِنْهُ ، وَفِي
الْمُقَابِلِ فَإِنَّ حَاجَاتِ الْوَالِدَيْنِ تَكُونُ
عُرْضَةً لَوْلَدٍ ثَقِيلِ النَّفْسِ بَارِدِ الدَّمِ قَاسِيِ
الْقَلْبِ مَيِّتِ الضَّمِيرِ ، فَيَتَكَرَّرُ طَلَبُ
وَالِدَيْهِ ، وَقَدْ يُلِحَّانِ عَلَيْهِ ، بَلْ وَقَدْ
يَبْكِيَانِ وَتَذْرِفُ دُمُوعُهُمَا ، وَمَعَ هَذَا

فَتَرَاهُ أَبْرَدَ مَا يَكُونُ ، يُؤَجِّلُ وَيُسَوِّفُ ،
وَيَعِدُ وَيُخْلِفُ ، بَلْ وَقَدْ يَكْذِبُ عَلَيْهِمَا
أَوْ يَتَكَلَّفُ الْأَعْذَارَ لِإِهْمَالِ حَاجَاتِهِمَا ،
وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْعُقُوقِ كَبِيرٌ .

وَمِنَ الْبِرِّ أَنْ يَحْرِصَ الْابْنُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ
وَخَاصَّةً الصَّلَاةَ ، وَأَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَى مَا
يُرْضِي اللَّهَ ، وَأَنْ يَجِدَّ فِي دِرَاسَتِهِ إِنْ كَانَ
طَالِبًا ، وَفِي عَمَلِهِ إِنْ كَانَ مُوظَّفًا ، وَأَنْ
يُخْبِرَهُمَا بِمَا يَسُرُّهُمَا مِنْ نَجَاحٍ فِي دِرَاسَةٍ أَوْ

عَمَلٍ ، أَوْ رِبْحٍ فِي تِجَارَةٍ أَوْ كَسْبٍ فِي بَيْعٍ
أَوْ شِرَاءٍ ، أَوْ تَقَدُّمٍ فِي مَطْلَبٍ مِنْ
الْمَطَالِبِ ، وَمِنْ الْعُقُوقِ فِي هَذَا أَلَّا يُبَالِيَ
بِمَا يُسْخِطُهُمَا ، وَأَلَّا يُهَمَّهُ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ
مِنْهُ أَمَامَهُمَا ، أَوْ أَنْ يُخْبِرَهُمَا أَحَدٌ عَنْهُ بِمَا
يَسُوءُ وَيُحْزِنُ ، كَتَرَكَ الصَّلَاةِ أَوْ التَّكَاثُلِ
عَنْهَا ، أَوْ الْإِخْفَاقِ فِي الدِّرَاسَةِ ، أَوْ
الْإِنْصِرَافِ عَمَّا يَنْفَعُهُ فِي عَمَلٍ أَوْ كَسْبٍ
، وَأَنْ يَطُولَ نَوْمُهُ وَيَمْتَدَّ كَسَلُهُ ، وَيَكْثُرَ

جُلُوسُهُ وَحَدَهُ وَهُمَا مَوْجُودَانِ ، فَلَا
يُخَالِطُهُمَا وَلَا يُجَالِسُهُمَا ، وَلَا يَتَحَدَّثُ
إِلَيْهِمَا وَلَا يُؤَانِسُهُمَا ، وَلَا يُؤَاكِلُهُمَا وَلَا
يُشَارِبُهُمَا .

وَمِنْ بَرِّ الابْنِ بِوَالِدَيْهِ الْحِرْصُ عَلَى إِهْدَاءِ
كُلِّ مِنْهُمَا مَا يُنَاسِبُهُ وَيُحِبُّهُ ، مِنْ مَالٍ أَوْ
لِبَاسٍ أَوْ طِيبٍ ، أَوْ أَكَلٍ أَوْ شُرْبٍ وَلَوْ
قَلًّا ، أَوْ تَحْقِيقِ حَاجَةِ مَادِّيَّةٍ أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ .
أَلَا فَلَنَتَّقِ اللَّهَ أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ ، وَلِنَتَصَوَّرْ كُلَّ

وَاحِدٍ مِنَّا فَرَحَةً وَالِدِيهِ إِذْ بُشِّرَا بِهِ وَقَدْ
اسْتَهَلَ صَارِخًا ، وَكَمْ عَقْدًا عَلَيْهِ مِنْ
آمَالٍ وَرَجَوَا فِيهِ أَنْ يَسُرَّهُمَا وَيُسْعِدَهُمَا ،
وَأَنْ يَخْدِمَهُمَا وَيَقْضِيَ حَاجَاتِهِمَا ، وَأَنْ
يَحْمِلَ اسْمَيْهِمَا وَيَدْعُو لَهُمَا ، وَأَنْ يَكُونَ
سَبَبًا فِي دُعَاءِ النَّاسِ لَهُمَا وَذِكْرِهِمَا بِالْخَيْرِ
، إِذْ أَنْجَبَا مِثْلَهُ فَرْدًا صَالِحًا مُصْلِحًا هَادِيًا
مَهْدِيًا ، أَجَلَ أَئِهَا الْأَبْنَاءُ الْمُبَارَكُونَ ،
تَذَكَّرُوا كَمْ فَرَحْنَا بِكُمْ فَاحْرِصُوا عَلَى أَنْ

تُفَرِّحُونَا ، وَكَمْ أَنْفَقْنَا مِنْ أَجْلِكُمْ فَلَا
تَجْحَدُونَا ، وَكَمْ أَعْطَيْنَاكُمْ وَبَدَلْنَا مِنْ
أَجْلِكُمْ فَابْذُلُوا مِنْ أَجْلِنَا وَأَعْطُونَا
وَأَمْنَحُونَا ، وَكَمْ أَمَلْنَا فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلَا
تَخْذُلُونَا ، فَالْبِرُّ دِينَ وَدَيْنٌ ، وَالْجَزَاءُ عَلَيْهِ
عَاجِلٌ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ جَزَاءِ الْآخِرَةِ الْآجِلِ
، رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ
الْأَلْبَانِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحرَى أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ
لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ
لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ
" أَلَا وَإِنَّ أَشَدَّ الْبَغْيِ وَأَقْطَعَ الْقَطِيعَةِ ،
أَنْ يَظْلِمَ الْوَلَدُ وَالِدَيْهِ بِعُقُوبَتِهِمَا وَالتَّهَاوُنِ
فِي الْبِرِّ بِهِمَا ، فَاتَّقُوا اللهَ وَاحْرِصُوا ،
وَبَرُّوا وَالِدَيْكُمْ وَاصْبِرُوا ، وَاحْتَسِبُوا فِي
ذَلِكَ وَأَبْشِرُوا " وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ

عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ
لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا
. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ
وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا .
رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا
صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا "
أَمَّا بَعْدُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُ وَلَا تَعْصُوهُ
" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا "

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، إِنَّ شَأْنَ الْبِرِّ عَظِيمٌ ،
وَخَطَرَ الْعُقُوقِ كَبِيرٌ ، وَحِينَ يَأْمُرُ اللَّهُ بَعْدَ
تَوْحِيدِهِ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ ، فَمَا
ذَاكَ إِلَّا لِعِظَمِ حَقِّهِمَا وَخَطَرِ التَّهَاوُنِ
بِبِرِّهِمَا ، وَإِنَّا لَنَرَى فِي الْمَجْتَمَعِ مَظَاهِرَ
هِيَ مِنَ الْعُقُوقِ أَوْ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَيْهِ ، يَجِبُ
أَنْ يَنْتَبِهَ إِلَيْهَا الْأَبْنَاءُ وَيَحْذَرُوهَا . كَيْفَ
تَسْمَحُ نَفْسُ مُؤْمِنٍ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ عَلَى
أُمِّهِ أَوْ أَبِيهِ ، أَوْ أَنْ يَذُمَّهُمَا أَوْ يَشْتُمَّهُمَا

، أَوْ أَنْ يُعَانِدَهُمَا أَوْ يُجَادِلَهُمَا ، أَوْ يُصِمَّ
أُذُنَيْهِ عَنْ أَمْرِهِمَا وَنَهْيِهِمَا ، أَوْ يَجْلِسَ عَلَى
جَوَالِهِ وَلَا يُؤَانِسَهُمَا ، أَوْ يَنْقَطِعَ فِي بَيْتِهِ
مَعَ أَوْلَادِهِ بِالْأَيَّامِ الطَّوِيلَةِ عَنْهُمَا وَلَا
يُزَوِّرُهُمَا ، مَا أَقْسَى قَلْبَ مَنْ أَبْكَى وَالِدَيْهِ
، وَمَا أَسْوَأَ خُلُقَ مَنْ أَغْضَبَهُمَا أَوْ
أَحْزَنَهُمَا ، وَيَا لَسُوءِ حَظٍّ مَنْ غَفَلَ عَنْهُمَا
لِيَعِيشَا الْهَمَّ وَيَتَجَرَّعَا الْغَمَّ فِي انْتِظَارِهِ !

إِنَّ الْبِرَّ بِالْوَالِدَيْنِ عِبَادَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ حَيْنَ
وَمَيَّتَيْنِ ، فَمَنْ بَرَّهُمَا فِي حَيَاتِهِمَا فَمَا
أَعْظَمَ حَظُّهُ ، وَمَنْ مَاتَا وَفَارَقَاهُ ، فَلْيُكْثِرِ
الدُّعَاءَ لَهُمَا فِي كُلِّ حِينٍ ، وَلْيَتَصَدَّقْ
عَنْهُمَا ، وَلْيُحَجَّ وَلْيَعْتَمِرْ إِنْ اسْتَطَاعَ ،
وَلْيُكْرِمْ صَدِيقَهُمَا ، وَلْيَصِلْ رَحْمَهُمَا ،
وَلْيَحْذَرْ مِنْ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا فِي الْإِسَاءَةِ
إِلَيْهِمَا أَوْ الدُّعَاءِ عَلَيْهِمَا ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ
صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ "
رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ
ابْنُ مَاجَهَ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ
: " إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ ،
فَيَقُولُ : أَنِّي لِي هَذَا ؟ ! فَيُقَالُ :
بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ " وَفِي الصَّحِيحَيْنِ
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ
لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أُمِّي

اَفْتُلِيتْ نَفْسَهَا - أَيِ مَاتَتْ فَجَاءَةً -
وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمْتَ تَصَدَّقْتَ ، فَهَلْ لَهَا
أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا ؟! قَالَ : " نَعَمْ
" وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : " مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ
" قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَهَلْ يَشْتُمُ
الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟! قَالَ : " نَعَمْ ، يَسُبُّ

أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ
فَيَسُبُّ أُمَّهُ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .